

فضيلة الشيخ إبراهيم بن عبدالعزيز السويح

إعداد: خالد بن عبدالرحمن الشايح

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين
ياحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من حقوق أهل العلم أن يُعنى بسيرهم وتجاربهم في الحياة، وأن يشكر لهم جهودهم
في التعليم والدعوة.

كما أن من فوائد تلك العناية أن تستفيد الأجيال من سير العلماء لتحذو حذوهم
وتسلك مسالكهم، ولهذا أثر عن بعض السلف قوله: إن القصص والحكايات أحب إليّ
من كثير من العلم، فإن فيها أخبار القوم وأخلاقهم.

ولا يخفى على المتخصصين أن عدداً من شيوخ مشايخنا، وبخاصة من تواكبت
جهودهم مع بواكير توحيد المملكة العربية السعودية على يدي الملك عبدالعزيز بن
عبدالرحمن - رحمه الله - لا يزال كثير من صفحات حياتهم وسيرهم مطويّاً، وهذا
يؤكد مزيد العناية بترجمتهم.

وفي ضوء ما تقدم وعرفاناً بما للعلماء من حقٍّ وقدر كبير حررت هذه الأسطر في سيرة
وترجمة الشيخ القاضي إبراهيم بن عبدالعزيز السويح - رحمه الله - بعد أن تبعت
مصادرها من خلال بعض الوثائق الحكومية، ومشافهة بعض من عاصره من أقاربه وأهل
العلم وغيرهم، ومن خلال ما حرر في كتب أهل العلم في ترجمته، وأرجو أن أكون

بذلك قائماً بشيء من الحق من جهة قرابته بوالدتي حفظها الله ورعاها .

اسمه ومولده ونشأته وطلبه للعلم:

- هو الشيخ العلامة القاضي: إبراهيم بن عبدالعزيز بن إبراهيم السويح .
- ولد الشيخ إبراهيم في الخامس والعشرين من شهر رجب عام سبعة وعشرين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية (٢٥ / ٧ / ١٣٢٧ هـ) (١).
- كان مولده في «روضة سدير» إحدى بلدان إقليم «سدير»، تبعد عن الرياض بنحو «١٨٠» كيلاً شمالاً .
- نشأ الشيخ في «روضة سدير» في بيت علم ودين، فقد كان أبوه الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم السويح من أهل العلم المشهود لهم بالعلم والفضل والوجاهة بين أهل المنطقة، وكان له تواصل مع أهل العلم المبرزين، ومنهم الشيخ عبدالله العنقري، فقد كان ينزل عنده في روضة سدير وتدور بينهما الدراسات والمراجعات العلمية، ولإجلال الشيخ العنقري للشيخ عبدالعزيز السويح عني بابنه الشيخ إبراهيم .
- وكان للشيخ عبدالعزيز أيضاً عناية بالعلم والأدب والعربية ومعرفة بالطب، وكان مجيداً للشعر وله أبيات رائقة في دخول الملك عبدالعزيز - رحمه الله - الأحساء، وقد كانت وفاته عام ١٣٣٧ هـ وهو العام المعروف بعام (الرحمة) أو عام «الصخونة»، والمقصود أن والد الشيخ كان له أثر مبارك عليه بتوجيهه إلى العلم وتعليمه .
- وفي «روضة سدير» تعلم الشيخ إبراهيم القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة، وكان تعلمه القرآن على الشيخ عبدالله ابن فنتوخ، المقرئ للقرآن الكريم في روضة سدير، وقد أتم الشيخ إبراهيم حفظ القرآن وله من العمر تسع سنين، وقد احتفى به أهله، إضافة إلى ما كانوا يحيطون به متعلم القرآن من الاهتمام والتشجيع، مثل ما يسمى «زفة الحفظ» لمن أتم حفظ الجزء الثلاثين .
- ولما أراد الله به الخير أعلى همته نحو العلم وطلبه، فقرأ على بعض علماء بلدته .

- ثم رحل الشيخ إلى المجمعّة وفيها قرأ على بعض مشايخها، ومنهم الشيخ أحمد بن إبراهيم ابن عيسى، ثم قرأ على الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري .
- ثم رحل إلى الرياض وفيها قرأ على الشيخ محمد بن إبراهيم، قرأ عليه في نحو سبع سنين .
- وأخذ أيضاً عن الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ .
- وأخذ كذلك عن الشيخ صالح آل الشيخ .
- وأخذ أيضاً عن الشيخ عبدالله بن محمد ابن حميد .
- وأخذ كذلك عن الشيخ ابن سليم في القصيم .
- كما أخذ عن الشيخ ابن زاحم والشيخ ابن يوسف، وغيرهم .
- وفي عام ١٣٥٣ هـ دخل المعهد العلمي السعودي وأخذ من مبادئ دروسه المقررة .
- وكان للشيخ أيضاً رحلة إلى الحجاز، فجاور مكة وأخذ من مشاهير علمائها، ومنهم الشيخ عبدالعزيز ابن مانع والشيخ محمد عبدالرزاق حمزة .
- قال الشيخ عبدالله البسام: «رحل إلى كثير من البلدان لطلب العلم، فجدّ فيه حتى أدرك، وصار صاحب فنون وعلوم» (٢) .

صفاته وسجاياه:

- كان الشيخ - رحمه الله - طويل القامة نحيل الجسم، أبيض اللون، خفيف شعر الوجه، كان ملازماً لللبس الأبيض النظيف من الثياب، حتى إنه كان يلازم لبس المشلح الأبيض .
- وكان - رحمه الله - مشرق الوجه، بساماً بشوشاً، حلو المجالسة، يستقبل الناس بالبشر والحفاوة .
- وكان معروفاً بسخاء النفس، والسعي في قضاء مصالح الناس، وكان مهتماً بالدعوة إلى الله تعالى والسعي في نشر العلم والتفقه في دين الله تعالى .

ومما كان يجيده الصيد، فقد كان يعتمد إليه كلما جاءت مناسبة وأتيح له الوقت. وقد عرف عنه نهمة الشديد وحبه الكبير للعلم ومدارسته، وكان سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز - رحمه الله - إذا التقى ببعض من قرابات الشيخ إبراهيم يترحم عليه ويشني عليه بحبه للعلم والقراءة والمدارسة العلمية. وقد حدث عنه بعض معاصريه أن والدته كانت تشفق عليه في صغره لكثرة قراءته، فتطفئ السراج بالليل ليرتاح، ولكنه يعتمد للقراءة على ما يكون من ضوء القمر. وكان منذ بواكير عمره يصطحب كتبه معه حيث حلَّ أو رحل.

أعماله ووظائفه:

- عين «إماماً» في هجرة «الحيد» بالدوادمي، عند تركي بن محيا، بأمر ملكي بتاريخ ١٣٥٥/٦/١ هـ.
- ثم طلب الاستعفاء لتفرق أهلها عنها، فأجيب لذلك بتاريخ ١٣٦٠/٩/١ هـ.
- وعين «مرشداً» في عسير بأمر ملكي في ١٣٦٠/٩/١ هـ وبقي بها حتى ١٠/١١/١٣٦١ هـ.
- عين «قاضياً» في «المسارحة» بأمر ملكي رقمه «٢٠٠٨/١/١٢» في ١٠/١١/١٣٦١ هـ.
- نقل إلى قضاء «صبيا» بأمر ملكي بواسطة إمارة جيزان برقم «٣٩٩٣» في ٧/١٤/١٣٦٤ هـ.
- لدى مجيء الشيخ إلى صبيا مرض وطال مرضه لعدم موافقة البلاد له، فطلب الإقالة أو النقل، فصدرت الموافقة في ٢٥/١١/١٣٦٥ هـ بنقله إلى «المسارحة» وظيفته السابقة (٣).
- وكان من أعمال الشيخ توليه القضاء بأمر ملكي في تبوك وراثته محاكم المقاطعة الشمالية «في العلا وتبوك وملحقاتها»، وبقي كذلك حتى وفاته - رحمه الله -.

مآثره وآثاره:

- عرف عن الشيخ - رحمه الله - عنايته البالغة بطلب العلم، ونهمه الكبير في البحث والمدارسة، وكان الشيخ على جانب كبير من الحرص على متابعة مستجدات العصر من الطروحات الفكرية والمذاهب الجديدة مما فيه محادة للإسلام وأهله، وكان يرصد ذلك لرده وتفنيده.

وكان يتابع المجالات والدوريات التي تصدر في زمانه مثل «العروة» وغيرها، رغم شح نسخها وقلة وصولها للبلاد السعودية وبخاصة نجد.

- كان للشيخ عناية بأنواع العلوم الأخرى، ومنها على وجه الخصوص العربية والفلك والشعر، وقد حكى جلساء الشيخ من حذقه بعلم الفلك شيئاً عجيباً، حتى إنه - رحمه الله - كان يحرص على عدم إفشائه خشية أن يتحدث الناس أن ما يتحدث به من الأمور الفلكية التي تعرف بالحساب من الرجم بالغيب، وأما الشعر فله باع واسعة في نظمه وتذوقه والإبداع فيه، ولك أن تقتف على أبياته في آخر كتابه «بيان الهدى من الضلال» لتدرك كم للشيخ من الملكة في هذا الباب. حتى إنه كان يجيب في صغره في حياة والده على ما يوجه إليه من أسئلة وألغاز شعرية، فيجيب عنها شعراً.

- والشيخ كعامة علماء البلاد لم تتجه همته إلى التأليف والتحرير، بل كان عامة وقته في قضاء حاجات عامة الناس وخواصهم، بين تعليم وقضاء وإصلاح.

- وكان للشيخ إبراهيم عناية كبيرة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وله مقامات مشهودة محفوظة في هذا الباب، تنبئ عن غيرة على دين الله وحكمة كبيرة في هذا الباب.

- يقول الشيخ صالح بن عبدالعزيز ابن عثيمين في كتابه «السابلة»: كان الشيخ كان الشيخ إبراهيم بن عبدالعزيز السويح من أصحابي وجلسائي في مكة المكرمة قبل توليه القضاء في العلا وتبوك، وكان فقيهاً نبيلاً أديباً، ماهراً في كل ذلك، له أخلاق فاضلة، لا يمل حديثه، ذكياً جداً، قوي الحافظة، وكان مسبتم الوجه، ذا سكينة ووقار.

جاور بمكة وقرأ على علمائها، ومنهم الشيخ عبدالعزيز ابن مانع، والشيخ محمد

عبدالرزاق حمزة، وغيرهما .

عين قاضياً في بلدة العلا ، ثم في بلدة تبوك وما يتبعها من القرى ، ومع قيامه بالقضاء ، كان من المدرسين المفيدین ، ومن الدعاة إلى الله تعالى ، فقد نفع الله تعالى به في كل البلدان التي يحل فيها . انتهى .

- من الآثار التي أبقاها الشيخ من بعده كتاب جليل أسماه «بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب الأغلال» في مجلدين ضخمين طبعا في المطبعة السلفية بمصر عام «١٣٦٨هـ» وموضوعه الرد على المدعو «عبدالله بن علي القصيمي» في كتابه أسماه «هذه هي الأغلال» والذي شحنه مؤلفه بأنواع الفرى وراح يهذي فيه بأن ما أصاب المسلمين من التأخر والضعف هو تمسكهم بدين الإسلام!! فتصدى له الشيخ - رحمه الله - مفنذاً مزاعمه وراداً على شبهاته .

قال الشيخ عبدالله البسام : «فأفاد وأجاد بهذا الرد القويم ، وطبع الكتاب ونفع الله تعالى به» (٤) ، وكان سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز يثني على هذا الكتاب ويمتدحه .
- وله رد على الرافضة ، توفي قبل إتمامه .

تلاميذه وذريته:

لم يتوفر لي رصد محدد لمن تتلمذ على يدي الشيخ ، إلا أن من المحفوظ من سيرة الشيخ العناية بالتعليم والدعوة ، ولكن لم يكن هناك رصد لهذا الجانب من حياته ، وبخاصة أنه كان يقطن في أواخر حياته في تبوك وهي بعيدة عن حواضر البلاد المتميزة بكثرة التعليم كنجد والحجاز . وقد أبقى الشيخ من الذرية من بعده : ابناً وبتناً ، وابنه هو محمد ، وهو ضابط متقاعد في وزارة الدفاع .

وفاته:

قال الشيخ صالح العثيمين : أصيب في آخر عمره بداء الاستسقاء ، فدخل المستشفى

اللبناني في جدة، فلم يقدر له الشفاء، وكانت وفاته - رحمه الله - في آخر رمضان من عام ١٣٦٩ هـ - رحمه الله تعالى - .

وكان ابن عمه الشيخ إبراهيم بن سعد بن إبراهيم السويح «المتوفى بالرياض عام ١٤٠٤ هـ رحمه الله» قد قدم به إلى مكة إثر مرضه للعلاج بمشفاها فقدر له الشفاء، ثم إنه مرض أخرى ولم يشف من مرضه .

وقد كانت وفاة الشيخ - رحمه الله - بمكة، فصلي عليه بالمسجد الحرام، وصدر أمر ملكي بإقامة صلاة الغائب عليه في أنحاء المملكة، لما للشيخ من أيادي الخير في الإسلام والدعوة إليه .

رحم الله الشيخ إبراهيم السويح وجعل نزله في الفردوس الأعلى من الجنة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين .

الهوامش

(١) نقلن هذا التاريخ من دفتر النفوس الخاص بالشيخ رحمه الله، والذي يصدر آنذاك عن مديرية إحصاء النفوس العامة. المسجل في جيزان في ١٣٦٦/٩/٥ هـ برقم «١٧١٦» وبهذا يستدرك على ما ذكره الشيخ العلامة عبدالله بن عبدالرحمن البسام في كتابه الحافل «علماء نجد خلال ثمانية قرون» «١/٣٣٤» فقد حدد مولده في عام «١٣٠٢» وفي هذا نظر كما تقدم، فليصحح.

(٢) علماء نجد «١/٣٣٤».

(٣) بيان الوظائف السابقة نقلتها من السجل الوظيفي للشيخ والصادر عن محكمة صيبا، وجاء في سجله الوظيفي أنه بعد الموافقة على النقل بقي بصيبا حتى تاريخ تحرير سجله هذا في ١٣٦٥/١٢/٧ هـ نظراً لأنه لم يجر التسليم.

(٤) علماء نجد «١/٣٣٥».